# أحمد فارس الشدياق في مسيرة أدب الرحلة

الدكتور رياض أحمد *

**الملخص:**

يعد أدب الرحلة لوناً من الألوان الأدبية الذي ينقل فيه الرحّالةُ العناصرَ الثقافية والاجتماعية المختلفة من خلال ما يصادفه من مظاهر وعادات وتقاليد وأساليب ومعالم أثرية لتلك المنطقة التي زارها، واصفاً بذلك انطباعات أفراد المجتمع، ومسجلاً أساليب عيشهم، وناقلاً مختلف فنونهم وصناعاتهم، ومعبراً عن حقائقهم ودقائقهم. فقد صار أدب الرحلة مصدراً أساسياً للموروث الثقافي والتاريخي والأدبي ساهم فيه الأدباء على مرّ العصور وكرّ السنين فلم يخل العصر الحديث من الأدباء الذين أسهموا في هذا المجال برحلاتهم القيمة فمنهم أحمد فارس الشدياق الذي يعد حقاً من أبرز الأدباء والرحالين في العصر الحديث والذي ساهم في أدب الرحلة مساهمة فعالة. فيتناول هذا المقال شخصية الشدياق وآثاره بلإيجاز، ويلقي الضوء الشامل على جوانبه المتعددة عامة وعلى رحلاته الأدبية وأسفاره الأوربية خاصة مشيراً إلى مالطة ولندن وباريس، كما يحللها تحليلاً بسيطاً، ويتحدث عن خصائصها وأسلوبها وقيمتها الأدبية والفنية، ويبين ما فيها وما عنها مقدّماً النماذج وآراء الأدباء كي تتجلى أهميتها وتبرز مساهمة الشدياق في أدب الرحلة.

**الكلمات الدليلية:** أحمد فارس الشدياق، حياته وآثار، رحلاته الأدبية، ذكر مالطة ولندن وباريس، والشام، ومصر، خصائص

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، جامعة كشمير

رحلاته وقيمتها الفنية.

**نبذة عن حياته وآثاره:**

تفتخر لبنان في العصر الحديث بالأدباء الكبار والشـعراء العظام الذين لعبوا دورا كبيرا في تطوير الأدب العربي من خـلال مساهماتهم القيمة ونشاطاتهم الأدبية، وتركوا آثارا بارزة في مجال الأدب العربي فمنهم الأديب اللغوي المؤرخ الرحالة أحمـد فـارس الشدياق الذي يعتبر أحد المعالم الرئيسية في دنيا الأدب العربي فـي القرن التاسع عشر، ولد في عشقوت بالقرب من بيروت من أسـرة مارونية سنة ١٨٠٤م، تلقى علومه الابتدائية مـن مدرسـة عـين ورقة، وطالع باجتهاد ورغبة كتبا كثيرة، وأقبل على علـوم اللغـة والنحو، وبرع في صناعة الخط والنسج، وبدأ يقرض الشعر وهـو في العاشرة من عمره، ومنذ الطفولة مال إلـى حفـظ المفـردات والمترادفات اللغوية[١].

سافر الشدياق إلـى مالطـة سـنة ١٨٢٦م حيـث درس الإنكليزية، ثم عاد إلى مصر وقضى بها حقبة من الدهر بين تعلـم وتعليم، وعمل مترجما ومصحّحا، ثم انطلق إلى لندن فسـاهم فـي الترجمة وبعد ذلك قصد إلى باريس فأقام فيها زمنا، ثم راح يطوف في الأصقاع الأوربية، وفي هذه الأثناء دوّن رحلته في كتابه "كشف المخبأ عن فنون أوربا" وفي سنة ١٨٥٣م وضـع كتابـه الشـهير "الساق على الساق في ما هو الفارياق"، ثم انتقل إلى تونس فبولـغ في إكرامه وعيّن مؤسسا لجريدة "الرائد التونسي" الرسمية، وهناك اعتنق الإسلام، ويعمل في تطوير الأدب العربي حتى طار صـيته

في الأقطار العربية لعلمه وأدبه، وفي سنة ١٨٥٩م غادر تونس إلى الآستانة، وأنشأ فيها جريدة "الجوائب" التي كان لها أثر كبير في الشرق والغرب، وظل يعمل حتى وافته المنية سنة ١٨٨٨م[٢].

ولأحمد فارس الشدياق آثار عظيمة ومؤلفات كثيرة في اللغة، والأدب، والصحافة، والترجمة، والرحلة، والشعر وقلما ترك باباً إلا ولج فيه، فكان من علماء اللغة في عهده، وألمعهم شهرة، وأشدهم تأثيرا على تطور اللغة، فقد كتب في اللغة "الجاسوس على القاموس" وكتابه "سر الليال في القلب والإبدال" كتاب لغوي يشتمل على المفردات والمترادفات المتداولة و"يفصل أساليب العرب ويبين عجز غيرهم عن مجاراتهم في الميدان"[٣]. ومن أشهر مصنفاته "الساق على الساق فيما هو الفارياق" و "كشف المخبأ عن فنون أوربا" و "الواسطة في معرفة أحوال مالطة" وغيرها من المصنفات التي تدل على تفوقه في فنون الإنشاء وتضلعه من فنون الأدب في العصر الحديث.

**مساهتمه في أدب الرحلة:**

ولأحمد فارس الشدياق مساهمة قيمة في أدب الرحلة في العصر الحديث، وقد أتيحت له الفرصة أن يسافر إلى البلدان المختلفة من مالطة وفرنسا وبريطانيا، وقد أقام في جزيرة مالطة مدة أربعة عشر عاما، وقضى في باريس ولندن أكثر من تسع سنوات، وكانت حياته كلها مليئة بالرحلات المختلفة، فكان في رحلاته هذه عينا ترى وترقب، وأذنا تسمع وتعي، وعقلا يفكر

ويحلّل، وكان يحب الرحلة والترحال وقد ورث بذرة ولـــوع هــذه الرحلات من الأمجاد اللبنانية فنراه يتحدث عن فترة شبابه قـــائلا: "وقد كنت في عنفوان شبابي، وجــدّة جلبـــابي، وأزهـــار ســـني، وازدهار ذهني، لهجا بالسفر والاغتراب، والترحل عـــن الـــوطن والصحاب، إلى بلد ينضر فيه غرسي، وتطيب فيه نفسي، واقتـــبس فيه من مصابيح العلم قبساً"[٤]. ويرى أن الرحلة والأســـفار يكســـبان صاحبهما خبرة وتجارب لا يمكن حصولهما وهو قائد في بيتـــه أو بلده أو بمجرد سماعه لأحاديث الناس وأخبارهم التي كثيرا ما يلعب التشويه فيها حتى تضيع الحقائق. ونراه يظهر رأيه عـــن الترحـــل والأسفار في مقدمة كتابه "الواسطة في معرفة أحوال مالطة" قـــائلا: "فإن الأسفار طالما ذكرها الذاكرون، وبالغ في وصفها الواصفون، فمدحها من علت مروءة وسمت همته، وذمها من قصر عنها، ولـــم يجن منها، فمنهم من شبه صاحبها بدُرّ إن لم ينقل لـــم يكـــن فـــي التيجان منضودا، وبهلال إن لم يسر لم يصر بـــدرا مشـــهودا.."[٥]. وهو يركز دائما على الرحلة وينصح القادر علـــى الســـفر ليـــرى ويسمع ويخبر ما في البلاد الأخرى من العادات والتقاليد والأطوار والأحوال، وكأنه يمثل بقول أبي تمام:

وطول مقام المرء في الحيّ مخلق    لديباجتيه، فاغترب تتجدد
فإني رأيت الشمس زيدت محبة    إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد[٦]

وأحمد فارس الشدياق لا ينشد فوائد الرحلة من خبرة وعلم للرحالة فحسب وإنما يريد أن تعود فوائد الرحلات إلى قومه بنقـــل كل مفيد جديد، ولذا يحث من يرحل عن وطنه على تأليف رحلتـــه

لينتفع به قومه من دون أن يقصد التكسب[٧]. وكان هدفه الأساسي لتأليف رحلاته إفادة قومه على ما اطلع عليه، فقد دوّن أخبار تلك الرحلات في كتبه "الساق على الساق في ما هو الفارياق" و"الواسطة في معرفة أحوال مالطة" و "كشف المخبأ عن فنون أوربا". فجاءت رحلته إلى مالطة بدعوة من الأمريكان له في عام ١٨٣٤م للتعليم في مدارسهم في الجزيرة ولتصحيح من مطبعتهم فيها من كتب عربية، وجاءت رحلته إلى إنجلترا بدعوة من جمعية "ترجمة الأسفار المقدسة" سنة ١٨٤٨م ليساهم في ترجمة التوراة إلى العربية تحت إشراف المستشرق "دكتور لي"[٨].

ومن أشهر مصنفات أحمد فارس الشدياق "الساق على الساق فيما هو الفارياق" دوّن فيه المؤلف بعض أخبار رحلاته وأسفاره ولكنه في الحقيقة يحتوي على سيرته الذاتية[٩]، وهي سيرة أولى بنوعه في الأدب العربي الحديث، يتجلى فيها أدب الشدياق في أحسن صورة، ويبرز أسلوب الكاتب في أكمل فنونه ويعبر الدكتور عماد الصلح عن رأيه قائلا: "والساق على الساق" هو كتاب سيرته الذاتية، والفارياق هو الشخصية الأساسية في هذه السيرة، والأسم منحوت من "فارس الشدياق" الأحرف الثلاثة الأولى من الأسم الأول، والثلاثة الأخيرة من الثاني، وبهذا الابتكار جاء الكلام بصيغة الغائب، فكان يقول "كان الفارياق" ولا يقول "كنتُ" فتمكن بهذا الشكل من أن يستخرج إن صحّ التعبير من ذاته شخصا آخر"[١٠]. ألف الشدياق سيرته هذه في مطلع حياته الأدبية، وأنشأها أثناء سياحته في أوربا، فوصف فيه أسفاره وأخباره وأحواله، وألقى

الضوء على حياته من جميع جوانبها وكشف عن خبايا نفسه منذ نشأته الأولى، وندّد برجال الكنيسة آخذا منهم بثأر أخيه، وما اكتفى بهذا بل تحدث عن أصناف المأكول والمشروب والمشموم والحلى والجواهر مع الألفاظ المترادفة لها. وقد يُؤْخذ المؤلف على جرائته على الأدب وتطرفه في المجون واستعماله من الألفاظ الركيكة والكلمات العويصة ما لا يليق بفضله وشأنه[١١].

وأما رحلته الثانية الشهيرة "الواسطة في معرفة أحوال مالطة" فقد كتبها سنة ١٨٣٤م، وخلال إقامته في مالطة خبر الجزيرة والحياة فيها عن كثب، فوصفها من الناحية التاريخية والجغرافية والثقافية والمدنية، وتكلم على عادات أهلها وسكانها وأخلاقهم وأحوالهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومظاهر حياتهم ولغاتهم وأدبهم، وعلى حكم الإنجليز فيها، ووصف أهلها بالشراهة في المآدب والأعياد، وتحدث عن هوائها وجوها في الشتاء وفي الصيف وهو يصفها بأنها "مخزن الرياح" ويقول في شتائها ورياحه وفي تتابع فصل الشتاء والصيف: "إذا الرياح تأخذ بناصية السائر والمياء تهطل من أنف كل سحاب، والزكام ملازم للأنوف والسعال قابض على الحلقوم فآخر ذنب الشتاء معقود بناصية الصيف"[١٢]. وقد تكلم بالتفصيل على عادات أهلها وتقاليدهم في البيوت وفي الأسواق وفي الرياح والأعياد، وفي ذلك يقول شعرا:

لئام إذا ما زرتهم في بيوتهم        كرام إذا زاروا ما أمكن اللحس
ولو وسعت أفواههم غير ما بها        لكان لكل بين أنيابه فأس[١٣]

وكذلك تحدث عن بخل أهل مالطة وأشــار إلــى تكبــرهم وشحّهم، وتحدث عن كثرة الشــحاذين فيهــا وإلحــافهم بالســؤال، وتحدث عن البيوت التي تؤجر فيها، ثم يقارن بيوتها والبيوت فــي مصر والشام، ويصف نساء مالطة ولباسهن وصفا بارعــا حيــث يقول: "عادة جهل مالطة المتشيعين في اللباس كعادة الإفرنج إلا أن نسائهم يلبسن وشاحا من الحرير الأسود وعلى رؤوسهن غطاء منه أيضاً من دون برنيطة، وأقبح شيئ في الصيف هذه الثياب السود.. وللنساء زهو وعجب إذا مشين أكثر من زهو الرجال فترى المرأة تخطو كالعروس المزفوفة إلى بعلها وهي ممسكة بطرف الوشــاح باليد اليسرى وبطرف غطاء رأسها باليمنى.. فتأوين إلى بيــوتهن لبسن أخلق ما عندهن من الثياب وسواء في ذلك الفقراء والأغنيــاء والرجال والنساء"[١٤]. ولم يكتف بهذا بل فضّل نساء العــرب علــى نسائهم، وقارن بين نساء مالطة والإفرنج ونساء مصــر والشــام، ويفضّل نساءه على نسائهم قائلا: "فليس نســاء مالطــة ولا نســاء الإفرنج كثير من الحلى كما نساء مصر والشام، وإنمــا إعجــابهن مقصور على نظافة الثياب واتخاذها بحسب الزي، وكما أن لبــاس رجال الإفرنج لا يخلو من إخلال بالحياء كذلك كان لباس نســائهم أدعى إلى الحشمة والتصاون من لباس نسائنا"[١٥] وقارن بــين مــاء مالطة، وبين ماء النيل الذي يطيب شربه على التعب والظمأ، أمــا ماؤها فهو سائغ إذ يقول: "فما شربه ذو تعب أو ظمأ إلا وأصــابه سعال، وكثرا ما يحدث من شربة واحدة نفث الدم.. فلا ينبغي لأحد أن يشرب من ماء مالطة إلا ترشفاً"[١٦].

وعلى الجملة فإنه قد حاول أن لا يترك شاردة ولا واردة في مالطة دون أن يكتبها في صفحاته القليلة وفي نهاية المطاف يخرج من هذه الجزيرة غير مودّع لها، ولا آسف على فراقها، وناسيا حياة أربعة عشر عاما فيها، ويشير إليه قائلا: "سافرنا من مالطة إلى إنكلترا، وبعد نحو ساعتين غابت عنا أرضها"[١٧].

وأما رحلته الثالثة "كشف المخبّا عن فنون أوربا" فقد كتبها سنة ١٨٤٨م، ودوّن فيها جولته الأوربية وبيّن أحوال سكانها وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وعلاقاتهم الاجتماعية والثقافية وما إلى ذلك.

فقد درس الحياة في لندن وباريس، وقارن بين بعض نواحي الحياة فيهما، وقارن بينهما وبين الحياة في كل من مصر والشام، وفي هذه الفترة زار لندن عشرين مرة ونال فيها الجنسية البريطانية التي أتاحت له فرصة الإطلاع والوقوف على دقائق الحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية في هذا المجتمع الأجنبي خاصة، "وقد ساعده كونه مسيحيا حتى ذلك الوقت على الإندماج في حياتهم"[١٨]. لقد تناول كل صغيرة وكبيرة في حياة هذا المجتمع فتحدث عن معالم المدنية وأشهر مبانيها ودوائرها، وتحدث عن المسرح هناك وعاد إلى أسواق القديمة في عكاظ وتمنى لو أنها تطورت، ونقل العرب عن اليونان ما يصل بها إلى المسرح المعروف، كذلك تحدث عن صناعة النسج وعن الصحف، ويجر حديثه إلى تاريخ الصحافة وصناعة الورق والمطبعة وأهمية اختراع الطباعة، ولا ينسى أن يتحدث عن إيراد المملكة وميزانيتها

ووصف ضنك الفلاحين، والفقر المذل في لندن "حيث تسكن عشرات الأسر رجالا ونساءً في حجرات قليلة، وحيث البطالة للآلاف من الناس"[١٩]. كما لا ينسى أن يشير إلى فروق أسعار الحاجيات في لندرة "لندن" أثناء الأوقات المختلفة التي زارها فيها، وتحدث عن الشرطة ومهماتهم، وتحدث عن جمعيات باريس الخيرية ومدارسها حتى وعن لباس أولاد هذه المدارس، وعن مآكلها ومشاربها، وهكذا يمضي في ذكر بعض عادات أهلها الغربية في الطعام والشراب فهم يشربون الحليب مع الفلفل والملح، والقهوة مع الفجل والرشاد[٢٠]. ويذكر عاداتهم في الدعوة إلى المآدبة البيتية، ويبين أنها ضرب من الأسر لتحكم بعض العادات التي تقيد الضيف فيها وتحد حريته حتى في أصناف الطعام التي يأكلها. ويقارن تربية الأطفال في الغرب مع تربية أمثالهم في الشرق، ويشير كذلك إلى بعض اعتقادات القوم في الطيرة والتفاؤل، ويطيل في تصوير الحياة الإنكليزية وتنظيم الزيارات الأسرية، مدليا بملاحظات قيمة توصل إليها من خلال إقامته الطويلة بين الإنكليز وحياته مع أسرهم. ويشير كذلك إلى شرع الإنكليز "أطول الشرائع أحكاما وأكثرها قيلا وقالا، وأوسع من علم العربية قلبا وإعلالا"[٢١]. وفي الحقيقة أن الشدياق لم يترك شيئا من مظاهر الحياة الإنكليزية في أيامه إلا وسجله في رحلته.

وهذا بالنسبة لإنكلترا ولندن أما بالنسبة لباريس، فقد أقام فيها ثلاثين شهرا ويبدو أنها قضاها متقطعة فيها ولم يزر قراها وريفها بعكس حاله في إنكلترا، ومع ذلك فهو لا يبخل بل يجري

في وصف باريس على منهجه الذي اتبعه في رحلته إلى إنكلترا، يصف باريس وأرضها وهوائها وجمالها وبهجتها قائلا: "فبلغنا باريس ليلا فدهشت لما رأيت، وحين مررنا بالبلغار رأينا من الأنوار في الديار من فوق وفي محال القهوة من تحتها وفي فوانيس الطرق من بين الأشجار وفي فوانيس العواجل الواقفة عن اليمين والشمال ما خيل لي أني في جنات النعيم، فقلت في نفسي بخ بخ إن هذه مدينة بهجة وأنوار تتفتح فيها أكمام المعاني في رياض الأفكار، وتتجلى بها عرائس القصائد في إخدار الأشعار فلأجعلن دأبي النظم فيها الليل والنهار"[٢٢]. ويبدأ بعد ذلك بلمحة في تاريخ باريس مشيرا إلى أيام كانت بلدة صغيرة مفتوحة على الطبيعة وتوحشها، فكانت الذئاب تدخل أسواقها وتغتال من تغتال، ويذكر عجائب هذه المدينة وأماكنها المشهورة من كنائس وقصور ومستشفيات وبنوك وحدائق، ويتناول بعد ذلك أعياد الفرنسيين وأخلاقهم وعادات نسائهم، ويشير إلى تفوقهم في الصناعة على الإنكليز. ونراه يقارن بين نساء باريس ونساء لندن أو كما يقول عنها لندرة قائلا: "وما من إمرأة في باريس إلا وتعرف شيئا من المداواة، وطبعهن التبكير في القيام وتنظيف مراقدهن بخلاف نساء لندرة، فإن الغالب عليهن الكسل والتواني، والإضحاء في النوم"[٢٣].

وعلى الجملة فهو يفضل الحياة في باريس على الحياة في لندرة كما يقارن الحياة بين الإنكليز والفرنسيين فيقول: "إن الجيد من الإنكليز خير من الجيد من الفرنسيين والردئ من هولاء خير من الردئ من أولئك، ومآل الكلام أن عامة الفرنسيين أفضل، وإن

خاصة الإنكليز أجل وأمثل"[٢٤]. وهذا يدل على ماشاهده في أوربا ورأى كل شيئ هناك من قريب وبعيد، ورجّح الإنكليز على الفرنسيين حيناً والفرنسيين على الإنكليز حيناً آخر حسب مشاهداته فيهم، ونراه يقدّم في رحلاته أحوال أهل أوربا، ويقارن بين الغرب والشرق وليس من الضروري أن كل ما رأى وشاهد يكون ذا نفع لكل أحد لأن الأحوال كانت مختلفة في الغرب والشرق يقول محمد المويلحي: "لا يتحتم أن ما يكون ذا نفع عند الغربيين يكون له نفع عند الشرقيين لاختلاف ذلك كله فيهم وتفاوته بينهم، والشواهد كثيرة جمة على أن مايكون في باريس حسناً يكون في برلين قبيحاً، وأن ما يكون في لوندرة "لندن" حميداً يكون في الخرطوم دميماً، وما يكون في رومية حقاً يكون في مكة باطلاً، وما يكون عند الغربيين جداً يكون عند الشرقيين هزلاً"[٢٥]. ومع ذلك قدّم لنا الشدياق عادات أهل أوربا وتقاليدهم وعاداتهم متمنيا لقومه أن يأخذوا عنهم كل حسن ومفيد فيها، وكانت الغاية الأساسية من كتابة رحلاته تعريف بني قومه على ما شاهده من أحوال تلك البلاد وحياة أهلها كما أشرنا إليه سالفا. وكان أكثر اهتمامه على الناحية الاجتماعية في حياتهم ولم يشر إلى الناحية العلمية الأوربية إلا قليلة ومن ذلك قوله في مفهوم العلم ومكانته عندهم "إن من برع عندهم وإن كان وضيع النسب فلا يعدم أن يرى من يرفعه من خموله ويستفيد بعلمه، غير أن العلم عندهم لا يكون بمعرفة قواعد النحو والصرف أو بنظم قصائد، وإنما هو مطالعة اللغتين اليونانية واللاتينية ومعرفة أدبها ومعرفة التاريخ والفلسفة والهندسة والرياضات"[٢٦].

**خصائص رحلات الشدياق وأسلوبها وقيمتها:**

ومما لا شك فيه أن رحلات الشدياق مملوءة بالخصائص البارزة والميزات القيمة وأن أول ما نلاحظ فيها أن أسلوب الشدياق ومنهجها فيها يتسم بالاستطراد، فما أن يذكر موضوعا من الموضوعات حتى نراه يندفع وراءه ويشبعه بحثا وملاحقة حتى أعمق جذوره وأدق متعلقاته، وهو يأتي دون ريب ببعض المصادر التي يلاحق فيها أصول موضوعه، ويثبت من تاريخه، ويحرص دائما على إمداد القارئ بأكبر قدر من المعارف.

ويخطو الشدياق خطو ابن خلدون والكتاب الذين اعتمدوا على الترسل في كتاباتهم إلى حد بعيد. ويميل إلى التحقيق والتدقيق في صحة الأمور وصدقها، وهو يحلل الأمور ويصور الحقائق بكل دقة وتفصيل، ثم يتتبعها ويعرضها، مثلا نراه يحلل الكذب ويقسمه إلى أنواع، ويتمثل لكل نوع منها بأمثلة غريبة تدل على أحوال المجتمعات، ومعرفة أخلاق أهلها على اختلاف أجناسهم[٢٧]. ومن أهم ما يلاحظ في أسلوب الشدياق بأنه مولع بالمقارنة بين الأشياء في البلدان المختلفة، مثلا نراه يقارن بين ماء مالطة وماء النيل، وبين نساء مالطة ولندن وباريس والشرق، وبين أراضي الغرب والشرق، ولم يكتف بهذا بل يفسر ظواهر الأشياء فمثلا يقارن بين بيوت مالطة وجمالها الخارجي وبين البيوت في مصر والشام وجمالها الداخلي، يفسر بأن أهالي مصر والشام لا يتولون تجميل بيوتهم من الخارج هربا من ظلم الحكام وضرائبهم الكثيفة، ولذلك لا يزين المالك داره ولا يجملها من الخارج تهرباً وتضليلاً[٢٨]. ومن

أسلوب الشدياق وخصائصه روح التهكم والفكاهة التي تفيض من نفسه كما يفيض الماء من نبعه.

كان الشدياق علما من أعلام النهضة الأدبية الحديثة، وكان كارها للتكلف اللفظي والصناعة البيانية، إذ رأى في محسناتها وزخارفها ضياعا للمعنى وقتلا لقوة الابتكار لدى الأديب. فكان في كتابيه "الواسطة في معرفة أحوال مالطة" و "كشف المخبأعن فنون أوربا" واضح العبارة، سهل الأداء، حسن السبك، لم يحاول تصنع السجع والمحسنات البديعية كما فعل في كتابه "الساق على الساق في ما هو الفارياق" أحيانا. فقد اهتم فيها بالعبارات والألفاظ واعتنى بدقة الدلالات والأداء. ولذلك جاء أسلوبه واضحاً مشرقاً يتقمص أسلوب الحكاية والقصة في كثير من أجزاءه، على الرغم من جفاف الأرقام والإحصائيات التي أولع بها كثيراً[٢٩].

تعتبر رحلة الشدياق إلى البلاد الأوربية على غرار رحلة الطهطاوي تعريفا بهذه البلاد وبمناحي حياتها المختلفة، في وقت بدأت تتفتح فيه أبواب الغرب على بلاد العرب وبخاصة على مصر في أعقاب الاحتلال النابليوني لها. ورحلته صورة كاملة لحياة الشعوب الأوربية التي تحدث عنها، كما كانت رحلته هذه سجلا غنيا لكثير من مظاهر الحياة، يفيد مؤرخي حياة هذه البيئة في تلك الفترة. وبالإضاقة إلى ذلك فإنه يقدم بعض المعلومات التاريخية يلخّصها أحياناً عن كتب التاريخ المعروفة، كما فعل في حروب فرنسا وفي تاريخ بعض الاختراعات والصناعات، وإن كان كل ما قدّمه ضئيلاً أمام الحياة الاجتماعية التي سجّلها في رحلاته[٣٠].

يتجلى لنا أن الشدياق كان كاتب ذو طاقات فنية كبيرة، وقد ساعدته أسفاره وإطلاعه على الآداب المختلفة ودفعته إلى خلق جو جديد في الشرق، وكان قوي الانتباه، دقيـق الملاحظـة، ذو جلـد وصبر على التعرض لأدق التفصيلات التي أحسن جمعها، وأجـاد عرضها في شيئ من الترابط والتنسيق أعانه عليها هدوءه وتـوفره زمنا طويلا على هذه الرحلة، فكان لفظه عذبا رشيقا تارة وجـزلا جميل الجرس تارة أخرى، فتحلى في الحـالين بالإمتـاع الفنـي، والإبداع البلاغي، وانتسب إلى الجميل من التراث وإلى الرائع مـن الفن التقليدي السليم، ولا يجري على قلمه معنى إلا لفّه لفـا بـديعا وعبر عنه تعبيرا أنيقا.

**المراجع والهوامش:**

[١]. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص: ٥٨-٥٩.

وأحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ص: ٤٧٠.

[٢]. انظر للتفصيل: أحمد فارس الشدياق آثاره وعصره لعماد الصلح، طبع في بيروت ١٩٨٠م.

[٣]. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص: ٦٢.

[٤]. أحمد فارس الشدياق: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، طبع في مطبعة الجائب قسطنطينية، الطبعة الثانية ١٢٩٩هـ، ص: ٣.

[٥]. نفس المصدر، ص: ٢.

[٦]. أبو تمام: ديوان أبي تمام، شرحه وقدمه راجي الأسمر، ج-١، دار الكتب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٤م، ص:٢٤٦.

[٧]. حسني محمود حسن، الدكتور: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، ص:٨٦.

[٨]. خضر موسى محمد حمود، الدكتور: أدب الرحلات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١١م، ص:١٧٣-١٧٤.

[٩]. حسني محمود حسين، الدكتور: أدب الرحلة عند العرب، ص: ٨٥.

[١٠]. عماد الصلح: أحمد فارس الشدياق آثاره وعصره، ص: ١٦٦-١٦٧.

[١١]. أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص: ٤٧٢.

[١٢]. أحمد فارس الشدياق: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، ص: ١٣-١٤.

[١٣]. نفس المصدر، ص: ٣٥.

[١٤]. حسين محمد فهيم، الدكتور: أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط، ١٩٨٩م، ص: ١٩١.

[١٥]. نفس المصدر، ص:١٩٢.

[١٦]. أحمد فارس الشدياق: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، ص: ١٦.

[١٧]. أحمد فارس الشدياق: كشف المخبأ عن فنون أوربا، طبع في مطبعة الجائب قسطنطينية، الطبعة الثانية ١٢٩٩هـ، ص: ٦٧.

[١٨]. حسني محمود حسن، الدكتور: أدب الرحلة عند العرب، ص: ٩٠.

[١٩]. أحمد فارس الشدياق: كشف المخبأ عن فنون أوربا، ص: ٣٥٠.

[٢٠]. حسني محمود حسن، الدكتور: أدب الرحلة عند العرب، ص: ٩٢.

[٢١]. أحمد فارس الشدياق: كشف المخبا عن فنون أوربا، ص: ١٣٨.

[٢٢]. نفس المصدر، ص: ٢٢١.

[٢٣]. نفس المصدر، ص: ٢٥١-٢٥٢.

[٢٤]. نفس المصدر، ص: ٢٧٤-٢٧٥.

[٢٥]. نقلا عن "أدب الرحلات" للدكتور حسين محمد فهيم، ص: ٦.

[٢٦]. أحمد فارس الشدياق: كشف المخبأ عن فنون أوربا، ص: ١٧٠.

[٢٧]. حسني محمود حسن، الدكتور: أدب الرحلة عند العرب، ص: ١٠٠.

[٢٨]. أحمد فارس الشدياق: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، ص: ١٧.

[٢٩]. أحمد فارس الشدياق: أدب الرحلة عند العرب، ص: ١٠٣.

[٣٠]. نفس المصدر، ص: ١٠٤.